المعاصر نظرات ثاقبة ، مبيناً هذه الاحوال الجديدة التي طرأت على الفكر الانساني والوجدان الفردي فأوجبت الشعر الجديد من بعد الحرب العالمية الاولى الى الخمسينـــات من القرن العشرين . ويختم بحثه بتلخيص نظرة النقد العالمي الى الشعر .

ولقد قدمت ابحاث خاصة بأحمد محرم وبالمازني وبعبد الرحمن شكري وبخليل شيبوب : (وستقيم محافظة البحيرة مهرجاناً للشاعر احمد محرم في ٢٠ كانون الثاني ، يناير ، لانه من مواليد هـذه المحافظة) .

وقدم الشاعر عبد الرحمن صدقي والدكتورة نعمات فؤاد بحثين عن المـازني ، الاول عن صلة الشاعر به ، مبيناً من خلالها بعض خصائصه الشخصية والفنية ، والثاني دراسة عنه عنوانها « فن الصورة في ادب المازني » . وللدكتورة نعمات مؤلف مستقل عن المازني هو رسالتها لنيل درجة الماجستير في الآداب منذ اعوام ، ولكن بحثها يضيف جديداً واضحاً . وقدم الاستـاذ نقولا يوسف بحثاً عن « عبـد الرحمن شكري في ايامه الاخـيرة » ، والمعروف ان الشاعر انطوى على نفسه زماناً ثم خرج وشارك في بعض المجلات ثم عاد فانطوى ، فكانت هذه الدراسة مجلية لبعض الحقائق عن هذه الفترة من حيـاة الشاعر . وقدم الاستـاذ صديق شيبوب دراسـة عن شقيقه خليل شيبوب شاعر اللاذقية المعروف . كما قدم الاستاذ محمد مفيـد الشوباشي كلمة عجلى عن شعر عبد الحميد السنوسي وحسن فهمي وزكريا جزارين . والبحثان الاخيران يمتازان بالسرعة والسطحية ولا يكادان يؤديان غرضاً واضحاً لا في الدراسة ولا في عرض نماذج الشعر .

كل هذا ان دل على شيء فانما يدل على تقبل الجمهور للشعر الجيد وتذوقهم للدراسات من حوله ، بما لا يدع للشعراء عذراً في عدم عكوفهم على فنهم وعدم تضحياتهم في سبيل تجديده ، كما يدل على ان الشعر للجماعة غذاء لا يمكن ان تستغني عنه حتى في عصر الصواريخ وغزو الفضاء .

أمريكا : من روبي مكولي

تميل امريكـا في امر الجوائز الادبية الى ان تكون اقل التواء وغشا من معظم الدول الاوربية . فالالاعيب التي يلعبها الفرنسيون بجوائزهم المختلفة تأخذ في امريكا شكل براعة اعلانية ودعائيـة لفائدة الناشر ، ولا يأخذها القارىء مأخذ الجد . ولا تزيد المكافأة التي تحملها جائزتنا الرئيسية ـ جائزة بوليتزر ـ عن ٥٠٠ دولار ، وقد اشتهرت هذه الجائزة لما يرتكب مانحوها من اخطاء ، اكثر من اشتهارها لما يمنحونه عن طريق الصدفة لذوي الجدارة والاستحقاق .

ومع هذا فلا تزال هناك جائزة كبرى تحظى بمقدار هائل من الاحترام ، هي جائزة نوبـل الادبية ـ اذ ان معظم الناس سرعان ما ينسون اخطاءها ، او انهم يجهلونها ، ويتذكرون اسمـاء الفائزين الجديرين امثال طوماس مان وجيد وهمنغوي وفوكنر ، لا اسماء هنريك بونتوبيدان او بيرل بك او سلفدور كزيودو . لهذا فقد جاء القرار بمنح جائزة نوبل عام ١٩٦٢ لجون ستاينبك بمثابة صدمة لمعظم رجال الأدب .

وقد بدا هذا الاختيار الغريب جدا لستاينبك اكثر غرابة عندما تبين ان لجنة نوبل اوضحت ان الجائزة قد اعطيت على اساس رواية له صدرت

حديثا ، بعنوان « شتـــاء سخطنا » (او « حين فقدنا الرضا ») ، وهو كتاب بيع منه عدد كبير في السنة الماضية لكنه لم يحتذب من التقدير والنقد الجدي اكثر مما تجتذبه اغنية على التلفزيون يرمى بها الى الاعلان عن بضاعـــة . واعطت الجائزة مثالا مدهشا للفجوة الثقافية التي تفصل اوربا عن الولايات المتحدة – فجوة عشرين سنة في هـــذه الحال – ، او ربما كان تفسير ما حدث ان ما هو ترّهات جامدة متحجرة باللغـــة الانكليزية يأخذ شكلا رائعا عندما يترجم الى السويدية .

لجون ستاينبك في الادب الامريكي الحديث مكانة صغيرة يستحقها كل الاستحقاق ، تقوم على آثاره الاولى. ففي اقاصيصه عن «الوادي الطويل» في كاليفورنيا كان كاتبا اقليميا اصيلا رسم صورة مقنعة ، صورة شعرية احيانا ، للحياة في منطقة الغرب في اموريكا . وظهر في بعض رواياته ، مثل « عناقيد الغضب » (وهي خير مـــا كتب) و « فئران ورجال » و «في معركة مجهولة النتيجة»، بشخصية الكاتب الواقعي البروليتاري ، فبين الشقاء الذي يعيش فيه القوم الذين جُردوا من اراضيهم ، وصور سني النكسة الاقتصادية الامريكية بقـــوة واخلاص . لكن هذه الروايات ذاتهـــا لم تكن فضيلتها الكبرى سوى كونها مستندات ووثائق لامعة : فقد ارتبطت ارتباطا وثيقا بمرحلة تاريخية معينـــة جعلها اعجز من ان تكون ذات مغزى واهمية باقيين . وعلى سبيل المثال نذكر قصة تتعلق بشغف هتلر برواية « عناقيـــد الغضب » ، وهي الرواية التي يتحدث فيهـــا ستاينبك عن الفقراء المساكين البائسين في ولاية اوكلاهوما الذين انجرفوا غربا الى كاليفورنيا ليلتقطوا ثمـــار الفاكهـــة في البساتين الشاسعة ايام القطاف . فقد روي ان هتلر كان يأمر بان يعرض له الفيلم الذي عمل عن هذه القصة مرة بعد مرة ، وعندما تدارست القيـــادة العليـــا للقوات الالمانية في ١٩٤٠ امكانية دخول امريكا الحرب ، صرح هتلر ان امريكا لن تحارب مطلقا ، قائلا بثقة : « ان البلد مليء بزارعين لا يملكون شروى نقير يتنقلون من مكان الى مكان ومن عمل الى آخر في سيارات محطمة : هؤلاء لا ينتظر منهم ان يحاربوا . »

والآن قد انقضت على ستاينبك عشرون سنة وهو منقطع عن هذا الجو العمالي . لقد مر بذات المصير الذي مر به روائيون امريكيون عديدون كانوا قد بدأوا بداية جيدة : فهو لم يحصل مبالغ طائلة من مؤلفاته فحسب ، بل اصبح ايضا شخصية شهيرة عامة – والشخصيات الشهيرة العامة تخسر ما كان للكاتب البسيط من ستار يحتمي تحته هو ستار كونه شخصا غير معروف ، ولا يعود بامكانها ان تلاحظ وتراقب بسكينـة وصمت ، بـل تصبح هي نفسها موضع المراقبة والملاحظة. ومن الجدير بالذكر ان ستاينبك عندما قام مؤخرا برحلة ليكتشف بلده من جديد ليكتب عنه كتابا اسمـــاه « رحلات مع شارلي » ، سافر في سيارة كاديلاك ضخمة – وفي هذا من المغزى ما فيه .

ان روايات ستاينبك الاخيرة ، « كالحافلة الشكسة » و « شتاء سخطنا » ، روايات تطلب وضعها تلفيقا من الخيال ، فهي اعمال كاتب هجر المشهد المألوف اليه ولم يستطع بعده العثور على اي مشهد آخر يصفه. وقد كتب ستاينبك فيما عدا هذه الروايات عدة كتب عن الرحلات والريبورتاج ليست بذات اهمية .

لهذا كله جاءت معظم التعليقات على منح الجائزة لستاينبك في الصحافـــة الامريكية والعالمية اما انتقادية لهذا القرار او معبرة عن خيبـــة امل . فقالت مجلة « ذي نيـو رببلك » مثـلا « ان قليلين هم الذين يظنون ان ستاينبك جدير بتقدير عال ». وكانت الاوساط الادبية حين تتكهن عن هوية الفائز لهذا العام تلهج – اذا ما كانت الجائزة ستمنح لامريكي – بروبرت فروست، الذي ينال اعجاب القراء في العالم كله تقريبـــا ؛ كما كانت اوساط اخرى تلهج باسم ادموند ولسون الناقد . وفيما عدا ذلك كانت هناك احتمالات اخرى كلها معقولة

اكثر من ستاينبك بكثير ، مثل اندريه مالرو و روبرت غريفز وايفلين وو و ا . م . فورستر والبرتو مورافيا .

شيء واحد يقال في صالح ستاينبك ، وهو انه صادق وصريح . فحين اجرت الصحف تحقيقا معه بعد اعلان القرار ، سئل فيما اذا كان يعتقد بانه جدير بالفوز بالجائزة ، فاجاب : « بصراحة ، لا . »

ارتفعت مبيعات احد الكتب الى الحد الاقصى بين جميع ما صدر من كتب في طول البلاد وعرضها، وذلك بفضل الازمة التي نشأت عن الصواريخ النووية التي وضعتها روسيا في كوبا . والغرب في الامران هذا الكتاب رواية ؛ عنوانها Fail-Safe، ومؤلفاها هما يوجين بيردك وهارفي ويلر . تبدا القصة بوصف سرب من قاذفات القنابل النووية الامريكية تقوم بدورية فوق القطب ، اذ يطرأ عطل على آلة المراقبة الموجودة في الغرفة السرية للقيادة العليا للطيران الامريكي في نبراسكا ؛ ونتيجة لهذا الخلل، تعطي الآلة امرا خاطئاً بالهجوم . وعندما يطير الخبر الى البيت الابيض يأمر الرئيس بان تقوم المقاتلات الامريكية باسقاط قاذفات القنابل ؛ لكن تحقيق هذا الامر يصبح مستحيلا . عندئذ يتصل الرئيس برئيس الحكومة السوفياتية ويفسر له ما جرى . وفي غضون ذلك تكون طائرتان من قاذفات القنابل قد افلتتا في اجتياز منطقة الدفاع الجوية السوفاتية ، وتأخذان طريقهما الى موسكو ، فتنجم بين الرئيسين عبر القارتين محادثة مرعبة يتوجب على الرئيس الامريكي بنتيجتها ان يعرض على السوفياتي تدمير نيويورك بدلا من موسكو . ويحصل ما لا مفر منه : فتدمر موسكو نتيجة لهذا الخطأ الفظيع ، ويضطر الرئيس الامريكي لاعطاء الامر بمحو اكبر مدينة امريكية مع جميع سكانها من الوجود .

يشير عنوان الكتاب الى النظام الذي تتبعه القيادة العليا للطيران وتستطيع بواسطته ان تلغي امرا بالهجوم ، في اي وقت كان ، حتى نقطة معينة بعد اعطائه . فان الامر يصبح لاغيا بطريقة اوتوماتيكية اذا لم يؤكد بواسطة الاتصال اللاسلكي قبل ان تصل الطائرات الى نقطة معينة بالقرب من الحدود السوفياتية .

القصد من الكتاب هو التنبيه ضد الخطأ القتال في التقدير اوالحساب مما قد يؤدي الى اهوال حرب نووية مروعة ، وهذا قصد نبيل لا يلقى اية معارضة او استهجان. غير ان القصة تعتمد اعتمادا كبيرا على تفسير ووصف التفاصيل التكنيكية في نظام المراقبة المعقد جدا لدى القيادة العليا للطيران – لكن وصف المؤلفين لهذا النظام ، كما اشار بعض النقاد ، يعتمد في جله على الخيال ويحتوي على الكثير من الخطأ ايضا . صحيح ان معظم المعلومات التفصيلية المختصة بهذا النظام معلومات سرية وغير متوفرة للكاتبين : لكنهما بالرغم من ذلك لم يستفيدا حتى من المعلومات المنشورة والغير السرية ولم يستعملاها بأية دقة وواقعية . فهما على سبيل المثال اخطأا في فهم نظام التوجيه للصواريخ الموجهة ، وفشلا في استيعاب طبيعة صواريخ الوقود الصلبة ، الى غير ذلك من الاخطاء .

ان الكتاب الذي يقصد منه ان يعطي صورة مرعبة عما قد يحدث يخسر الكثير من معناه ومن قيمته عندما يتبين انه قصة تمزج العلم بالخرافة والخيال . فالمؤلفان لم يلعبا على وتر حدة اعصاب الامريكيين حول الوضع في برلين وكوبا وحسب، بل وعلى وتر آخر يزيد هو ايضاً حدة اعصابهم : وهو احتمال طروء خلل على آلة ما . فالامريكيون في اعمالهم اليومية يستعملون الآلات المختلفة اكثر مما يستعملها اي شعب آخر تقريباً ، والالات لكونها عرضة لجميع انواع الخلل التي تتعرض لها المعادن ، طالما يطرأ عليها خلل او تتعطل . وقد اختار بيردك وويلر بدهاء ان يجعلا الخطأ التقديري خطأ

ميكانيكيا ، خطأ في آلة، ليجعلا القصة اكثر رعبا حتى مما هي: فكأنهما يقولان ان حياتنا كلها بين يدي مجموعة غريبة من الاسلكة والمعدات معرضة للخطأ . ان الخطأ الذي هو احتمال اشد خطراً من هذا بكثير هو بالطبع الخطأ التقديري الانساني، الخطأ في الانسان ، اي التخطي والتجاوز المميت للخط والسياسة اللذين نجحا حتى الان في ابعاد الدولتين الكبيرتين عن الحرب .

بقيت نقطة اخيرة يجدر ذكرها حول هذا الموضوع ، وقد اشارت اليها ايضا مجلة « ذي نيو رببلك » : في عام ١٩٥٨ ظهرت رواية لم تلق اي تقدير او استحسان وسرعان ما غيبها النسيان، الحبكة فيها مطابقة تماما لحبكة الرواية التي نتحدث عنها ، وفيما عدا نهايتها فان الروايتين متشابهتان لحد مذهل . والمغزى من هذا كله : لكي تبيع كابوسا ، عليك ان تنتجه وتقدمه في وقت تبدو فيه الاشياء في اشد حلكها واسودادها .

خلال الايام التي بلغت فيها الازمة الكوبية ذروتها ، وبدون اي تأثر بها ، اجتمع في واشنطن كبار الشعراء الامريكيين جميعاً ، في مؤتمر عقد تحت اشراف مكتبة الكونغرس (ومنصب مستشار الشعر في المكتبة هو المنصب الرسمي الوحيد الذي تعطيه الدولة للفنان الامريكي مهما كان نوع فنه) . فقرأ الشعراء من نتاجهم وامضوا بعضاً من الوقت في تدارس ما حققه الشعر الامريكي في الآونة الاخيرة .

وقد لاحظ الذين حضروا المؤتمر ان الجيل القديم من الشعراء الامريكيين – الذين ظفروا بالشهرة في العقدين الثالث والرابع من القرن – قد تضاءل . واشهر هؤلاء روبرت فروست ، الذي لا يزال ناشطاً ولا يزال يكتب الآن وهو في عامه الثامن والثمانين . وهناك وليم كارلوس وليمز و ت.س.اليوت ومريان مور وجون كرو رانسوم، وهم من الشعراء المبرزين القليلين الذين تبقوا من تلك الفترة اللامعة في الادب الامريكي . ويبدو ان الشعر الامريكي قد تخطى بعد ذلك جيلا كاملا ، وان الفئة التي تلي هؤلاء سناً تتكون من شعراء في الاربعين من عمرهم ، امثال روبرت لويل ، الذي لا ريب في انه سيخلف فروست كابرز شاعر امريكي ، ورندل جاريل وتيودور ريتكه واليزابيث بيشوب . وقد طلع الآن علينا في العقد السادس من قرننا جيل جديد من الشعراء الموهوبين ، معظمهم لا يزال فتياً ، يعدون بالكثير وبمتابعة التراث الشعري والخطو به للامام .

وربما كانت ابرع دراسة عن الشعر الامريكي الاخير واهمها في الوقت ذاته ، تلك التي قدمها رندل جاريل في المؤتمر . فقد تحدث فيها عن شعر روبرت فروست ووصفه بأنه يرينا ويعبر لنا « بطريقة هائلة كيف يبدو العالم لانسان واحد » ، وبأنه مليء « بالانسانية والاسى والسكينة ، وبالحقيقة الواضحة » التي تجعل قراءة قصائده « واحدة من اقدم المسرات واحلاها » . وقال عن شعر وليم كارلوس وليمز : « في هذه القصائد طبيعة اطراف المدينة الامريكية – الاعشاب البرية والغيوم والاطفال في الاماكن المهجورة – مسجلة وقائمة الى الابد » . وقال في جون كرو رانسوم : « انه واحد من ألطف وأظرف المراسلين الحربيين الذين عاشوا قط واكثرهم فردية – المراسلين الحربيين في حربنا الازلية بين السلطة والحب » .